**تفسير الآيات من [102- 113]، أمل الكافرين في استئصال المسلمين**

بحث فى علم التفسير

إعداد / *ميريهان مجدي محمود*

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

***mirihan@mediu.ws***

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى أمل الكافرين في استئصال المسلمين**

**الكلمات المفتاحية – استئصال، الكافرين، المسلمين**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة أمل الكافرين في استئصال المسلمين**

* **.عنوان المقال**

**قال تعالى: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} [النساء: 102، 103] الآية وما بعدها.**

**{ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} هذا الأمل الذي تعبر عنه كلمة: {ﭭ} يدل على أن هذا ليس مجرد حلم ولا مجرد أمل ولا أمنيات تخطر بالبال، إنما هذه حالة نفسية تسيطر على عقول هؤلاء وقلوبهم يعيشون لها ومن أجلها، وسبب ذلك هو كفرهم بالله، ولذلك قال: {ﭭ ﭮ ﭯ} فعبر بقوله: {ﭯ} وأظهر هنا ليبين أن الكفر هو السبب، وكان يمكن أن يكون التعبير: "ود الكافرون لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم" لكنه أتى باسم الموصول هكذا: {ﭭ ﭮ ﭯ} ليبين عراقتهم وأصالتهم، وتمكن الكفر من قلوبهم وأفئدتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم. فهذا الكفر قد أعماهم عن الطريق فلم يجدوا إلا أهل الإيمان عقبة في طريقهم، وهم لذلك يودون لو أن أهل الإيمان غفلوا عن أسلحتهم وأمتعتهم.**

**{ﭰ ﭱ} هذا الفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث، وهذا يعني: أن هؤلاء الكافرين دائمًا على أهبة الاستعداد يترقبون وينتظرون لحظة غفلة ليصلوا إلى غرضهم الخبيث من القضاء على أهل الإسلام.**

**والسلاح الذي عبرت عنه هذه الآية كما جاء في بدايتها من قوله تعالى: {ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ} [النساء: 102] وهنا: {ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ} فترى في آية واحدة أنه يذكر كلمة الأسلحة ثلاث مرات، مما يدلنا على قيمة السلاح في المعارك.**

**وهذا يعني: أن السلاح الذي يتحدث عنه القرآن هو كل سلاح يحفظ على المسلمين كيانهم ووجودهم، وكل سلاح يستطيعون به أن يرهبوا عدو الله وعدوهم، لا كما يقول المهزومون من أن هذا السلاح إنما هو لمجرد الدفاع عن النفس، بل إن هذا هو الذي قال الله فيه: {ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ} [الأنفال: 60] فكيف لسلاح كليل لا فائدة منه يرهب عدو الله وعدو أهل الإيمان الظاهر والمستتر، وكيف إذا كان هذا السلاح من أيدي هذا العدو!! وهو لا يجود على أهل الإسلام بسلاح يمكن أن يوقع في صفوفه ضررًا، ولذا وجب على المسلمين أن يكونوا هم صناع السلاح في أقوى ما يمكن أن يتصوره إنسان.**

**إذن فكلمة السلاح التي ذكرت ثلاث مرات في الآية الكريمة لها دلالاتها وإيحاءاتها، وهي كلمة عتاب، وكلمة لوم للمسلمين في كل مكان؛ لأنهم قصّروا في حق أنفسهم فكان من أمرهم ما لا يخفى على أحد، الله  يبين أن أعداء الله من هؤلاء الكافرين على حال من الترقب يودون غفلة من أهل الإيمان عن أسلحتهم وأمتعتهم.**

**{ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ} والأمتعة التي يريدها القرآن في هذا التعبير هي أمتعة الجندي في ساحة المعركة، وهي أمتعة لها كيانها ومكانتها ومنزلتها في توفير الظروف المواتية للمجاهد ليقوم بدوره في المعارك، فليس المتاع هنا مجرد متاع، وإنما هو متاع خاص بالحروب، ولذلك يقول الإمام الألوسي: المراد بالأمتعة: ما يمتع به في الحرب لا مطلقًا، أي: ما يكون من عدة المجاهد في القتال من ملبسه، وما يلزمه في حياته ليؤدي واجبه على وجه التمام والكمال، فإذا استطاع العدو أن يستولي على أسلحة المجاهدين وأمتعتهم الخاصة بإقامتهم ليقوموا بمهمتهم فقد جردهم وأصبحوا مكشوفين أمام هذا العدو، لا يمتلكون سلاحًا يدافعون به عن أنفسهم، فضلًا عن أن يحاربوا به عدو الله وعدوهم، وليس معهم ما يقيهم وما يوصلهم من مطعمهم ومشربهم ومأكلهم وملبسهم ومسكنهم، فهؤلاء قد جُرِّدوا تمامًا ولم يبقَ لهم شيء يحميهم من هؤلاء الأعداء، ولهذا جاء قوله تعالى: {ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ}.**

**وانظر إلى هذا التعبير الفذ في كتاب الله: {ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ} أي: يميلون عليكم كأنهم شيء واحد، وجسد واحد، وسيل جارف، وجدار متماسك مال على قوم ناموا تحت هذا الجدار، فمال عليهم، ومال عليهم ميلة واحدة، أي: دفعة واحدة، لم يقع عليهم قطعة قطعة، ولا جزءًا جزءًا، ولا شيئًا فشيئًا، إنما هكذا وقع هذا الحائط وهذا الجدار على هؤلاء دفعة واحدة، فماذا كان؟ كان الهلاك الذي لا يبقى أحدًا.**

**جواز وضع المجاهد سلاحه للعذر:**

**{ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ}:**

**وعن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف وكان جريحًا، فهذا إذن تخفيف من الله  عن المجاهدين إذا ما نزلت بهم جراحات أو مرض أو ما إلى ذلك.**

**فقول الله تعالى: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ} أي أن المطر قد أوقع بكم الأذى فلم تستطيعوا أن تحملوا السلاح، أو كنتم مرضى مرضًا عضويًّا أو مرضًا نتيجة جراحًا كانت بكم كما كان من أمر عبد الرحمن بن عوف لا جناح عليكم ولا حرج أن تضعوا أسلحتكم.**

**وقوله: {ﮆ ﮇ ﮈ} تعنى: أن هذا الجندي لا يترك سلاحه بالكلية، ويبتعد عنه في أماكن بعيدة، وإنما يلقي سلاحه بجواره قريبًا منه، حتى إذا ما دعي الداعي إلى حمل السلاح كان على مقربة منه فحمله واستطاع أن يدفع به أعداء الله، ولهذا أيضًا كان هذا التحذير في قوله تعالى: {ﮊ ﮋ} أي: إذا كنت قد أذنت لكم بوضع السلاح قريبًا منكم في مثل هذه الظروف رحمة بكم فلا بد أن تتنبهوا بكل ما تستطيعون من وسائل التنبؤ وعليكم أن تحذروا بكل ما يمكنكم من ألوان الحذر؛ لتكونوا على أعلى درجات الاستعداد لمواجهة هذا العدو الذي ظن أنكم في غفلة عن أسلحتكم وأمتعتكم، فجمع قوته وقواته وجنده وسلاحه ومال عليكم ميلة واحدة في شدة شديدة فوجدكم -بحمد الله- على أعلى درجات الحذر والاستعداد تستطيعون أن تردوا كيده إلى نحره ليكون لكم نصر الله: {ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ} [محمد: 4- 6].**

**وجاء ختام الآية يأتي هكذا: {ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} هذا الختام نلمح فيه: التأكيد في قوله: {ﮍ} واسم الله  الذي لم يسمَّ به غيره {ﮎ} وهذا لفظ واسم مستجمع لكل صفات الجمال والكمال. أعد وهذا الإعداد يعني: أنه  جهز وانتهى هذا التجهيز وأعد وانتهى هذا الإعداد لهؤلاء الكافرين عذابًا مهينًا.**

**وقوله: {ﮐ} يبين السبب الذي من أجله استحقوا هذا العذاب المهين.**

**وقوله: {ﮑ ﮒ} أي: يهينهم ويذلهم عذاب بدني وعذاب نفسي، أما العذاب البدني فهو ما يلقونه في الدنيا من أسر، وقتل، وتشريد، واستيلاء أهل الإيمان على ديارهم وأموالهم، وما في ذلك من أمور لا تخفى على أهل الإيمان، فقوله إذن: {ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} عبارة أتت في ختام هذه الآية لترهب هؤلاء الكافرين ولتطمئن أهل الإيمان، يقول العلامة الألوسي في هذه العبارة: {ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ} تعليل للأمر بأخذ الحذر، أي: أعد لهم عذابًا مذلًّا، وهو عذاب المغلوبية لكم ونصرتكم عليهم، فاهتموا بأموركم ولا تهملوا مباشرة الأسباب كي يعذبهم بأيدكم، وقيل -هكذا يقول الألوسي-: لما كان الأمر بالحذر من العدو موهمًا لغلبته واعتزازه نفى ذلك الإيهام بالوعد بالنصر وخذلان العدو لتقوى قلوب المأمورين ويعلموا أن التحرز في نفسه عبادة كما أن النهي عن إلقاء النفس في التهلكة لذلك لا للمنع عن الإقدام على الحرب، إلى غير ذلك مما جاء في هذه العبارة الجامعة التي جاءت في نهاية الآية الكريمة.**

**ذكر الله في كل حال، ووجوب إقامة الصلاة:**

**أما قوله تعالى: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ}: {ﮔ ﮕ ﮖ} هذه الصلاة هي صلاة الخوف، أي: إذا أديت وقضيت الصلاة التي صليتموها في المعركة، وهي صلاة الخوف بالطريقة التي ذكرها الله  في الآية السابقة: {ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} ولو نظرنا إلى هذه العبارة لعلمنا ولرأينا أنها أحاطت بكل أحوال الإنسان: {ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ}إذا ما آويتم إلى فراشكم، وهذه كل حالات الإنسان: إما واقفًا، وإما قاعدًا، وإما مضطجعًا على جنبه، فعليه أن يذكر الله في جميع حالاته، وهذا الذكر أنشودة المجاهدين في المعركة، بل هو سبيلهم إلى النصر؛ لأن هذا الذكر اتصال وانشراح صدر بالإله المعبود والرب المقصود، وبه وحده يكون النصر، وتكون القوة ويكون العون ويكون السند، ويكون المدد، فهذا هو الله  مع هؤلاء الذاكرين المخلصين المخبتين وبخاصة في مثل هذا الموقف، ولذلك رأينا قول الله تعالى: {ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ} [الأحزاب: 41، 42].**

**لكن يبقى قوله: {ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} أنه إذا أدى الصلاة على أية حال صلاها مع الإمام كما جاء ترتيبها في الآية السابقة، أو صلاها هكذا منفردًا حسبما أتيح له من ظروف، وانتهى من صلاته -هناك الأمر المتواصل الباقي الذي هو شعار المسلم، وديدن حياته: ألا وهو ذكر الله  في أي حال كان عليها قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم.**

**{ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ}:**

**{ﮞ ﮟ} أي: فإذا أمنتم وذهب الخوف، وحصل الاطمئنان فأقيموا الصلاة، وهذه تحتاج إلى وقفة؛ لأن الإقامة كما ذكرنا من قبل ليست مجرد صلاة، إنما الإقامة تعني: تعديلها وأداءها كاملة الأركان والشروط، كما تعني: أداءها جماعة مع جماعة المسلمين، وتعني -أيضًا هذه الجماعة- المسجد والإعداد له بكل ألوان الإعداد والاستعداد، وجملة أمور خلاصتها: أنها تحتاج إلى دولة وإلى أمة قائمة بأمر الله، حتى يمكن لهذه الأمة أن تقيم الصلاة.**

**{ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} أي: فرضًا {ﮩ} محددًا له أوقاته المعلومة، وهذه الأوقات المعلومة معروفة، وعلى المسلمين أن يرفعوا فيها شعار الصلاة من الآذان، ولا بد إذن أن يكون هناك مؤذن، والمؤذن يؤذن في مسجد، والمسجد له إمامه، وإمامه هذا لا بد أن يكون مؤهلًا بما يؤهله لإمامة المسلمين.**

**وهذا أمر سيحتاج إلى إقامة المعاهد والمدارس والجامعات، وما يتبع ذلك من مؤلفات ومن مطابع ومن أموال، ومن حكومات ومن أشياء كلها تأتي من قول الله تعالى: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ} أي: لها ميعادها ووقتها المحدد الذي لا يقبل أن يزحزح عنه -كما أوضحه جبريل # لرسول الله  وأوضحه رسول الله  لأمته.**

**الحث على طلب العدو:**

**ولا يعني الانشغال بالصلاة والعبادات أن يغفل المؤمنون عن أعداء الله في أي وقت من الأوقات؛ ولهذا جاء هذا النهي بعد قوله: {ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ} [النساء: 103، 104].**

**فالله  يقول: {ﮫ ﮬ} أي: ولا تضعفوا: {ﮭ ﮮ ﮯ} أي: في البحث عنهم في أي مكان من أجل إحباط خططهم والقضاء على تدبيرهم، وسد الطريق أمامهم، وإنقاذ أهل الإيمان ومستقبل المسلمين من غدرهم وفجورهم.**

**فالأمر إذن ليس مجرد نهي، ينهى الله فيه المؤمنين عن أن يضعفوا أو أن يعجزوا أو أن يتخاذلوا أو أن يتراجعوا، إنما يريد الله  من {ﮫ ﮬ} القضاء على كل أسباب الضعف التي تعترى النفس الإنسانية.**

**{ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ} وهذا التعبير بالفعل المضارع في الأفعال: {ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ} يدل على أن هذا الألم مستمر متواصل، بل هو مواكب لمسيرة الحق والباطل ما تقلب الجديدان وتعاقب ليل ونهار، هي قصة الصراع بين الحق والباطل {ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ} [الأحزاب: 62].**

**أنتم تتألمون وهم يتألمون ويتحملون كذلك، ولكن هناك فرق؛ أنتم ترجون من الله مالا يرجون، أنتم ترجون من الله الفوز والجنة والأمان والنصر والعزة والكرامة، والله قد وعد بها أهل الإيمان: {ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ} [النور: 55].**

**أما هؤلاء فيطلبون الدنيا بشهواتها ومتاعها وما فيها، والدينا عرض زائل وظل حائل، إنهم يرجون ويطلبون إرضاء ساداتهم، وطواغيتهم ومن ألهوهم وعبدوهم من دون الله.**

**لكن لا بد لنا -أيها الأحبة- أن نتوقف عند استعمال الرجاء في هذا المقام: {ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ} والرجاء إنما يكون في الأمر المحقق، ولا شك أن الله  يحقق رجاء أهل الإيمان في نصر وعزة وفوز، وقد مكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، وهؤلاء أيضًا نالوا ما طلبوا من متاع الدنيا، فاستمتعوا بشهواتهم لأيام معدودات وسنوات معدودات، ولكنهم هلكوا مع الهالكين.**

**ختامًا للآية يقول تعالى: {ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ} يقول العلامة الألوسي: {ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ} أي: مبالغًا في العلم، فيعلم مصالحكم وأعمالكم ما تظهرون وما تسرون، حكيمًا فيما يأمر وينهى، فجدوا في الامتثال لذلك، فإن فيه عواقب حميدة، وفوزًا بالمطلوب.**

**المراجع والمصادر**

1. **ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، (تفسير القرآن العظيم) دار الراية للنشر والتوزيع، 1993م.**
2. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) دار الكتاب العربي، 1999م.**
3. **الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) بيروت، دار الفكر، 1995م.**
4. [**أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي**](http://www.adabwafan.com/browse/entity.asp?id=13149)**، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار الفكر، 2001م**
5. **الأندلسي، أبو حيان الأندلسي، (البحر المحيط) دار الكتب العلمية، 2001م.**
6. **أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، (فتح البيان في مقاصد القرآن) راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة احياء التراث الإسلامي، 1989م**
7. **أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (الكشاف) دار الكتب العلمية، 2003م**
8. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن) تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، 1997م**
9. **الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي, (روح المعاني) دار الكتب العلمية، 2001م**
10. **الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى الجزائري، (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) مكتبة العلوم والحكم، 1994م**
11. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دار ابن الجوزي، 1994م**
12. **الغرناطي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الغرناطي، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لبنان، دار الكتب العلمية، 1993م.**